

أدوات الكتابة فى العصر الجاهلى

وقد كان للكتابة أدواتها الشهيرة المعروفة لديهم ، وهى :

أولاً : الجلد : وكان يسمى (الرق) و (الأديم) و (القزيم) وتقول معاجم اللغة مفرقة بين هذه الأسماء (الرق) الجلد الرقيق الذى يسوى ويرقق ثم يكتب عليه ، و (الأديم) هو الجلد الأحمر أو المدبوغ ، والقزيم هو الجلد الأبيض يكتب فيه . وقد ورد ذكرها فى القرآن وأشعارهم ، قال تعالى :

﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ (١) .

ويقول طرفة بن العبد البكرى :

كسطور الرق رقصه بالضحى مرقش يشمه (٢)

وقال معقل بن خويلد الهذلى (٣) :

وإنى كما قال مملى الكتا ب فى الرق إذ خطه الكاتب

وقول الأخنس التغلبى :

لابنة حطان بن عوف منازل كما رقص العنوان فى الرق كاتب (٤)

ويقول الشاعر (حاتم الطائى) :

أتعرف أطلالاً ونوياً مهدماً كحظك فى رق كتاباً منمنماً (٥)

وفى « الأديم » يقول المركش الأكبر :

الدار قفر والرسوم كما رقص فى ظهر الأديم قلم (٦)

(٢) الديوان .

(١) سورة الطور ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

(٤) المؤلف والمختلف للآمدى ، ص ٢٧ .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ٧٠ .

(٥) الوصف فى الشعر العربى ١ / ٢٤٧ طبع البابى الحلبي وشركاه بمصر .

(٦) البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٣٧٥ ، والأغاني ١ / ١٢٧ ومعجم الشعراء للمرزبانى ، ص ٢٠١ .

كما ورد ذكر الأديم فيما روى من كتب الرسول عليه السلام عن «رافع بن خديج»
«فإن المدينة حرام حرمها رسول الله ﷺ وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني»^(١) .

وفى «القضيم» يقول النابغة الذبياني :

كأن مجر الرامسات ذبولها عليه قضيم تمقته الصوانع^(٢)
ويقول امرؤ القيس :

وعادى عداء بين ثور ونعجة وبين شيوب كالقضيمة قرهب^(٣)
وقال زهير بن أبى سلمى المزنى :

كأن دماء المؤسدرات بنحرها أطيّة صرف فى قضيم مسرد^(٤)

ثانياً : القماش : وهو من القطن أو الحرير ، فإذا كانت من القماش سميت «المهراق»
وهى الصحف ، واحدها «مهرق»^(٥) .

ويقول الجاحظ : « لا يقال للكتب (مهراق) حتى تكون كتب دين ، أو كتب عهد
ومواثيق وأمان»^(٦) وقد ورد ذكرها فى شعرهم الجاهلى ، قال الحارث بن حلزة
الشكرى :

حذر الجور والتعدى وهل ينقض ما فى المهراق الأهواء
وقال :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهراق الفرس
وقال الأسود بن يعفر :

سطور يهوديين فى مهرقيهما مجيدين من تيماء أو أهل مدين

(١) مسند الإمام أحمد ٤ / ١٤١ . (٢) الديوان .

(٣) الديوان ، ص ٥٢ ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ م ،
القضيمة : الصحيفة البيضاء ، الشيوب والقرهب . الثور المسن ، الرامسات : الرياح ،
المؤسدرات : المغريات بالصيد . أطيّة مفردة طياية وهى : الجلود . صرف : صبغ أحمر ،
مسرد : مخروز .

(٤) الديوان . (٥) المعلقة للتبريزى ، ص ١٦٨ وما بعدها .

(٦) الحيوان للجاحظ ٦٩ .

ثالثاً : النبات : ومن أنواعه ، العسيب : وهو سعف النخيل أو جريده .

يقول لبيد :

متعود لحن بعيد بكفه قلما على عشب ذبلن وبان^(١)

رابعاً : العظام : ومن أشهرها أكتاف الحيوانات والأضلاع وكان يكتب عليها الوحي ، قال زيد بن ثابت : « فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال ، ومن الرقاع ومن الأضلاع »^(٢) .

وعن هانيء قال : كنت عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فأرسلنى بكتف شاة إلى (أبى بن كعب) فيها « لم يتسن » و « فأمهل الكافرين » و « لا تبديل للمخلق » قال : فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب « لخلق الله » ومحا « فأمهل » وكتب « فمهل » وكتب « لم يتسنه »^(٣) .

خامساً : الحجارة : كما أن النقش على الحجارة أداة من أدوات الكتابة فى العصر الجاهلى . وسجلوا ذلك فى شعرهم ، يقول لبيد :

فمدافع الريان عرى رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها^(٤)
فلفظة « سلامها » يعنى حجارتها .

ويقول بعض العلماء : السلام : ما كانوا يكتبون عليه من عظم أو حجارة ، واستشهد بيت^(٥) (لبيد) المذكور ، والوحي جمع وحي وهو الكتاب ، يقال : وحيث أحيى وحيًا ، إذا كتبت .

يقول الله عز وجل : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^(٦) أراد كتب لهم . قال الشاعر :

كوحى صحائف فى عهد كسرى فأهداها الأعجم طمطمى^(٧)

(١) الديوان .

(٢) المقنع ، ص ٣ .

(٣) الصاحبى لابن فارس ، ص ١٠ .

(٤) المعلقات للتبريزى . سلامها : حجارتها .

(٥) النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه د/ عبد الحليم بلبع . (٦) سورة مريم ، الآية ١١ .

(٧) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ، ت هارون ، ص ٥١٩ ط دار المعارف القاهرية .

وقال جرير :

كأن أخا اليهود يخط وحيًا بكاف في منازلها ولام^(١)

أراد : يكتب كتابًا : والسلام : الصخور ، واحدها سليمة ، قال الشاعر :

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمى ورائي بالسهم والسلمة

ويقول زهير :

لمن الديار غشيتها بالفدقد كالوحي في حجر المسيل المخلد^(٢)

قال ابن النديم : والعرب تكتب في أكتاف الإبل ، واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض ، وفي العشب عشب النخل^(٣) .

سادسًا : الورق : والكتابة على الورق لم تنشر إلا في أواخر القرن الثاني الهجري ، والذي يوافق الثامن من الميلاد .

قال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكتب كخط الوحي في الورق القشيب^(٤)

فها هم العرب لم يتركوا وسيلة من وسائل الكتابة ، إلا واستخدموها فقد كتبوا على سعف النخيل ، والحجارة كما أنهم كتبوا على ورق البردي والحرير الناعم ، والقطن المصقول ، والجلد الرقيق ، وما إلى ذلك من الأدوات التي أومأنا إليها آنفًا .

أسماء المكتوبات :

مما تقدم استبين لنا بوضوح وجلاء تامين أن عرب الجاهلية عرفوا القراءة والكتابة ، كما أنهم عرفوا أدواتها ، وقد ذكروا ذلك في شعرهم ، وهو بلا ريب سجل مفاخرهم ،

(١) الديوان ، ص ٤٩٨ .

(٢) الديوان .

الفدقد : الأرض المرتفعة المستوية ، المخلد : المقيم .

(٣) الفهرست لابن النديم .

(٤) الديوان .

وعنوان معاشيهم ، بل هو المرأة الصادقة لحيواتهم ، كذلك كانت لهذه المكتوبات أسماء معروفة لديهم وهى :

أولاً : الصحيفة : وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم ثمانى مرات وهى : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ ^(١) وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ^(٢) وقال سبحانه : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ^(٦) وقوله سبحانه : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ ^(٧) .

ويقول الألوسى : والصحف ما كان من جلود ، والقسط الكتاب والمجلة صحيفة كانوا يكتبون فيها الحكمة .

قال النابغة :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم به يرجون العواقب

والمعنى يقول إن صحيفتهم التى فيها وصاياهم مثبتة على طاعة الله ، ودينهم مستقيم يرجون به ثواب الله تعالى ^(٨) ويقول الشاعر ثعلبة بن عمرو العبدى :

لمن دمن كأنهن صحائف قفار خلا منها الكتيب فواحف ^(٩)

(١) سورة التكويد ، الآية ١٠ . (٢) سورة الأعلى ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٣) سورة عبس ، الآية ١٣ . (٤) سورة المدثر ، الآية ٥٢ .

(٥) سورة البينة ، الآية ٢ . (٦) سورة طه ، الآية ١٣٣ .

(٧) سورة النجم ، الآية ٣٦ .

(٨) بلوغ الأدب فى معرفة أحوال العرب ، تأليف السيد محمود شكرى الألوسى ٣/ ٣٧١ نشر محمد جمال ، المكتبة الأهلية بمصر .

(٩) المفضليات للضبى والوصف فى الشعر العربى للأستاذ/ عبد العظيم على قناوى ، مصطفى البابى الحلبي وشركاه .

ثانياً : الكتاب : وهو أعم من الصحيفة ، وأكثر ذيوغاً وانتشاراً ، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة يبلغ عددها إحدى وستين ومائتى مرة إفراداً وجمعاً^(١) . لفظة الكتاب وردت وشاعت فى كتب رسول الله ﷺ وفى أخبار صحابته رضوان الله تعالى عليهم بما لا مجال لمتنبه واستقصائه وتسجيله ، وإنما نسوق مثلاً مما ورد فى كتب الرسول عليه السلام ، فقد كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهوداً وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وقد وردت لفظة الكتاب مرتين ، الأولى : قوله عليه السلام هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب^(٢) والثانية قوله عليه السلام : (وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم)^(٣) . أما فى الشعر الجاهلى فقد وردت اللفظة فى شعر « تميم ابن أبى بن مقبل العامرى » حيث يقول :

منهن معروف آيات الكتاب وقد تعتاد تكذب ليلى ما تمنينا^(٤)
وقول الشاعر « لقيط بن يعمر الإيادى » :
هذا كتابى إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا^(٥)
وقول « عبيد بن الأبرص » :
لمن الدار أقفرت بالخباب غير نؤى ودمنه كالكتاب^(٦)

كما وردت لفظة (الكتاب) فى كتابه ﷺ إلى وفد (همدان) حيث قال : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وخفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار (مالك) ابن نمط ومن أسلم من قومه^(٧) .

(١) المعجم المفهرس ، ص ٥٩٢ وما بعدها .

(٢) تهذيب سيرة ابن هشام للأستاذ/ عبد السلام هارون ، ط الرابعة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ، ص ١١٥ نشر المؤسسة العربية الحديثة .

(٣) ذاته ، ص ١١٨ . (٤) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ، ص ٣١٨ .

(٥) مختارات ابن الشجرى ، ص ١٠٥ . (٦) ذاته ، ص ١٠٥ .

(٧) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣١ / ١ ، ٣٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م خفاف الرمل وجناب الهضب وخارف . أسماء بلادهم . المشعار : لقب ملك وقيل موضع باليمن ينسب إليه .

كما أنها وردت في كتابه عليه السلام إلى وفود كلب فقال : هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر كلب وأحلافها ، ومن ظأره الإسلام من غيرها مع قطن بن حارثة العليمي ، بإقامة الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة لحقها في شدة عقدها ، ووفاء عهدا ، بحضور شهود من المسلمين سعد بن عباد ، وعبد الله بن أنيس ، ودحية بن خليفة الكلبي عليهم في الهمولة الراعية^(١) .

كما وردت في حديثه عليه السلام حينما بعث (عياش) بن أبي ربيعة إلى بني عبد كلال وقال له : خذ كتابي يمينك ، وادفعه يمينك في إيمانهم^(٢) .

وقال الشاعر (عدى بن زيد) :

تعرف أمس من ليس الطلل مثل الكتاب الدارس الأحوال^(٣)
وقال أيضاً :

ناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفع^(٤)
وقال الشاعر (سلامة بن جندل) :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق^(٥)
وقال (زهير بن أبي سلمى المزني) :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^(٦)

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٤ / ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
خفاف الرمل وجناب الهضب وخارف . أسماء بلادهم . المشعار : لقب ملك وقيل موضع باليمن ينسب إليه ، العمائر جمع عمارة بالفتح والكسر ، وهي أصغر من القبيلة . ظأره . عطفه عليه والهمولة الراعية ، التي أهملت ترعى بأنفسها .

(٢) ذاته ، ص ٥٠ .

(٣) الأغاني ١٥٢ / ٢ .

(٤) شعراء التصانية ، ص ٤٧٢ .

(٥) الديوان ، ص ١٥ ، والأصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، ص ١٤٦
الأصمعية رقم ٤٢ . الصليب ومطرق . موضعان .

(٦) الديوان ، ص ١٥ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري . تحقيق هارون ، ص ٢٦٦ ط دار المعارف ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

ثالثاً : الزبور : وقد يراد به الكتاب الدينى ، بيد أنه يطلق على غيره من الكتب ، ورد ذلك اللفظ فى القرآن الكريم تسع مرات وجميعها بمعنى (الكتاب الدينى) .

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٢) وقوله سبحانه : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٦) وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (٧) وقوله سبحانه : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (٨) .

ويقول الألوسى : « القط والزبور والرقيم (الكتاب) وزبرت ورقمت كتبت » (٩) .

أما الشعر الجاهلى فقد ورد فيه لفظ (الزبور) بمعنى الكتاب للدين فى قول أمية :

وأبرزوا بصعيد مستو جرز وأنزل العرش والميزان والزبر
وقول امرئ القيس :

أنت حجج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور فى مصاحف رهبان (١٠)

-
- | | |
|--|---------------------------------|
| (١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٤ . | (٢) سورة النساء ، الآية ١٦٣ . |
| (٣) سورة النحل ، الآية ٤٤ . | (٤) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٥ . |
| (٥) سورة الإسراء ، الآية ٥٥ . | (٦) سورة الشعراء ، الآية ١٩٦ . |
| (٧) سورة فاطر ، الآية ٢٥ . | (٨) سورة القمر ، الآية ٤٣ . |
| (٩) بلوغ الأرب ٢٧١ / ٣ . | |
| (١٠) الديوان ، ص ٨٩ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الثانية ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ . | |

وقول الشاعر (عمرو بن أحمر) :

أم لا تزال ترجى عيشة أنفًا لم ترج قبل ولم يكتب بها زبر^(١)
كما ورد في الشعر الجاهلي لفظ (الزبور) دالاً على مطلق الكتاب ، في قول
الشاعر لبيد بن ربيعة :

وجلا السيول على الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها^(٢)
وقوله أيضاً :

فنعاف صارة فالقنان كأنها زبر يرجعها وليد يمان^(٣)
ويقول الشاعر امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان^(٤)
قال أبو ذؤيب اللهذلي :

عرفت الديار كرقم الدوا يزبرها الكاتب الحميري^(٥)

رابعاً : الرقيم : وهو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف^(٦) ، وقد
ورد ذكره في القرآن الكريم ، فقال سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾^(٧) وفي لسان العرب لابن منظور^(٨) (إن الرقيم هو اللوح) أما

(١) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، ص ٣١٥ .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ص ٢٥٦ ط الرابعة - دار
المعارف ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

(٣) الديوان .

(٤) الديوان ، ص ٩٦ ط دار المعارف بمصر . ت محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٦٤ وشرح المعلقات السبع الطوال تحقيق هارون ، ص ٥٢٦ ، دار المعارف
بمصر .

(٦) مختصر تفسير الإمام الطبري ، ط دار الشروق ٣١٨ .

(٧) سورة الكهف ، الآية ٩ .

(٨) لسان العرب لابن منظور مجلد ١١ ، ص ٢٥٠ ومجلة التضامن الإسلامي السنة الثانية
والأربعون الجزء الثاني عشر جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ فبراير ١٩٨٨ م ، ص ٥٩ .

الزجاج فيقول (الرقيم اسم الجبل الذى كان فيه الكهف ، وقيل اسم القرية التى كانوا فيها وقال الفراء (الرقيم) لوح رصاص كتبت فيه أسماؤهم ، وأنسابهم ، وقصصهم ، ومفسروا ، وسأل ابن عباس كعب عن الرقيم فقال : « هو القرية التى خرجوا منها ، وقيل الرقيم الكتاب ، وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ما أدري ما الرقيم ، أكتاب أم بنيان يعنى بذلك أصحاب الكهف والرقيم ، وقال ابن عباس « الرقيم » واد قريب من « إيلة » فى الأردن ، وقال هو « الجبل » الذى فيه الكهف .

قال الضحاك : « أما الكهف فهو غار الوادى ، وأما الرقيم اسم الوادى » ، وقال مجاهد : « الرقيم كتاب بنيانهم » وقال سعيد بن جبير : « الرقيم : لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف »^(١) وهو الراجح والذى غلب إليه ، ونؤيده ونوافق عليه .

خامساً : الطرس^(٢) : وهو الكتاب المحو الذى استطاع أن تعاد فيه الكتابة ، والتطريس فعلك به ، أى معاودتك الكتابة فيه مرة ثانية بعد الكتابة الأولى المحوطة يسمى تطريساً ، وطرس الباب سوده .

سادساً : الطلس : باللام كتاب لم ينعم محوه فيصير طرساً^(٣) .

سابعاً : الكراسة : ما تكرست أوراقه وتلبدت^(٤) .

ثامناً : المصحف : وسمى مصحفاً لأنه أصحف أى جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين ، وهما اللوحان اللذان يكتنفانه^(٥) .

(١) لسان العرب لابن منظور مجلد ١١ ، ص ٢٥٠ ومجلة التضامن الإسلامى السنة الثانية والأربعون الجزء الثانى عشر جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ فبراير ١٩٨٨ م ، ص ٥٩ .

(٢) بلوغ الأرب للألوسى ٣٧١ / ٢ .

(٣) ذاته .

(٤) ذاته .

(٥) ذاته .

أدوات الكتابة :

أومأنا أنفأ إلى ما يكتب عليه ، أما ما يكتب به فهو :

أولاً : القلم : وهو فى الجاهلية مصنوع من القصب يقط ويقلم ، أو يبرى ثم يغمس فى مداد الدواة ويكتب به .

والشاعر الجاهلى الذى كان يحتضر ، ولا يجد وسيلة للكتابة ، كان يتخذ من رحل فاتله صحيفة يكتب عليها ما كان يريد^(١) .

وقد ورد لفظ (القلم) فى القرآن الكريم أربع مرات مفرداً ، وجمعاً ، ولا غرو فهناك سورة كاملة تسمى بسورة (القلم) فورد ذكره بالإفراد فى قوله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾^(٢) . وفى قوله سبحانه : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾^(٣) .

وورد ذكره جمعاً فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٤) . وأيضاً فى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٥) فالمراد بالأقلام هنا - أقلامهم التى يكتبون بها التوراة حيث إنهم اقترعوا على أن يلقوا أقلامهم فأيهم ثبت فى جرية الماء فهو كافلها ، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا عليه السلام فإنه ثبت^(٦) .

(١) الفضليات للضبي ، ص ٤٥٩ وما بعدها .

(٢) سورة القلم ، الآية ١ .

أقسم الله به وهو القلم الذى خلقه ، فأمره بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة . يسطرون : يخطون ويكتبون .

(٣) سورة العلق ، الآية ٤ . (٤) سورة لقمان ، الآية ٢٧ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٤٤ .

(٦) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الأول ، ص ٢٨٢ دار القرآن الكريم - بيروت ، لبنان .

كما ورد ذكر القلم فى الشعر الجاهلى ، يقول عدى بن زيد :

له عنق مثل جذع السحو ق والأذن مصعنة كالقلم^(١)
وقال أيضاً :

ما تبين العين من آياتها غير نوى مثل خط بالقلم^(٢)
ويقول الزبرقان بن بدر :

هم مهلكون ويبقى يعد ما صنعوا كأن آثارهم خطت بأقلام^(٣)
ويقول المرقش الأكبر :

الدار وحشى والرسوم كما رقص فى ظهر الأديم قلم^(٤)
ويقول الشاعر شيم بن خويلد الفزارى :

تسمع أصوات كدرى الفراخ به مثل الأعاجم نقش المهرق القلما^(٥)
ويقول لبید يصف كاتباً ، وقد ذكر (القلم) :

متعود لحن يعيد بكفه قلماً على عصب ذبلن وبان^(٦)
وقوله أيضاً :

وجلا السيول على الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها^(٧)

والقلم قد ذكر كثيراً فى الشعر الجاهلى بالإنفراد والجمع ، وما أثبتناه ليس إلا من قبيل المثل والشاهد .

(١) سمط اللآلئ للبكرى ، ص ٨٧٦ .

السحو من النخل الطويل مصعنة : منصوبة محددة .

(٢) الأغاني ١١٩ / ٢ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١٧٩ / ٣ .

(٤) الديوان جـ ص ط .

(٥) النقائض ، ص ١٠٦ .

(٦) شرح المعلقات للتبريزى ، ص ١٢٨ .

(٧) شرح القصائد السبع الطوال ت الأستاذ عبد السلام هارون ، ص ٥٢٦ .

ويسمى (القلم) مزبراً ، فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه دعا فى مرضه بداوة ومزبر ، فكتب اسم الخليفة بعده ، ويقول الزمخشري (المزبر) هو القلم ، وأنشد الأصمعى :

*** قد قضى الأمر وجف المزبر ***

ويسمى أيضاً (المرقم) و (الرشق) صوت القلم^(١) .
ويقول الأصمعى أيضاً : إن (زبرث) أى كتبت ، وزبرت يعنى قرأت .
يقول امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور فى عسيب يمان
أراد (كتاباً) أما أبو عبيدة فيرى أنهما بمعنى واحد^(٢) .
يقول حاتم الطائي :

أتعرف أطلالاً ونؤيا مهدماً كخطك فى رق كتاباً منمنماً

والقلم قبل أن تبره أنبوبة فإذا بريته فهو قلم وما يسقط منه عند البرى فهو البراية
بضم الباء وتقول بطننت القلم أى رقت بطنه ، وأنفته أى حددت طرفه وشباته حده^(٣)
وحصرم القلم يعنى براه .

ثانياً : الدواة : وهى بلا ريب من أدوات الكتابة وجمعها دوى ، ودويات ، ودوى^(٤)
وقد ورد ذكرها فى الشعر الجاهلى ، حيث يقول الشاعر الجاهلى عبد الله بن عتبة :

فلم يبق إلا دمنة ومنازل كما رد فى خط الدواة مدادها^(٥)
ويقول أبو ذؤيب الهذلى :

عرفت الديار كرقم الدواة بزبرها الكاتب الحميري^(١)

(١) بلوغ الأرب للألوسى ٣/ ٣٧٢ وأيضاً أدب الكتاب للصولى .
(٢) شرح القصائد السبع الطولات الأستاذ عبد السلام هارون ، ص ٢٥٦ ط دار المعارف بمصر .
بتصرف .
(٣) بلوغ الأرب للألوسى ٣/ ٣٧٠ وما بعدها . (٤) ذاته .
(٥) الفضليات للضبى ، ص ٧٤٣ . (٦) ديوان الهذليين ١/ ٦٤ .

ويقول ثعلبة بن عمر العبدى :

أكب عليها كاتب بدواته يقيم يديه تارة ويخالف^(١)

ويقول أيضاً الشاعر (سلامة بن جندل) :

أكب عليه كاتب بدواته وحادثة فى العين جدة مهرق^(٢)

ثالثاً : الحبر : ويسمى أيضاً (المداد) كما ورد أنهم كانوا يسمونه (نقساً) ، قال الشاعر (حميد بن ثور)^(٣) .

لمن الديار بجانب الحبس كخط ذى الحاجات بالنقس

وقد ذكر لفظ (المداد) فى القرآن الكريم ، فقال سبحانه ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّی وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^(٤) .

والمعنى : قل لو كان البحر مداداً للقلم الذى يكتب به كلامه وحكمه لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه ، وسمى المداد مداداً لأنه يمد الكاتب ، ومددت الدواة ، صببت فيها ماءها ومدها ، وتقول (مدنى أى اعطنى مدة من الدواة ، وقد خثرت الدواة خثورة وخثارة ، إذا اتخن نفسها وهو المداد ، يقال نقس وأنقاس لقطع منه)^(٥) .

وكما ذكر القلم فى أشعار الجاهليين ، ثم ذكر فى القرآن الكريم ، كذلك ذكر شعراء العصر الإسلامى (القلم والدواة) ، فى قول الشاعر عدى بن الرقاع :

ترجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها^(٦)

أى ترجى البقرة ولدأ فى صوته غنة ، كأن رأس قرنه قلم بمداد^(٧) .

(١) الفضليات للزبى والوصف فى الشعر العربى للأستاذ عبد العظيم على قناوى ، ص ٢٤٥ .

(٢) الأصمعيات وشرح الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ص ١٤٦ الأصمعية رقم ٤٢ .

(٣) الديوان ، ص ٩٧ . (٤) سورة الكهف ، الآية ١٠٩ .

(٥) بلوغ الأرب للألوسى ٢ / ٢٧٠ .

(٦) طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى ، ص ٢٤٠ ط المطبعة المحمودية التجارية الكبرى .

(٧) أمالى المرتضى ٢ / ١٢٥ ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي وشركاه .